قصيدة الدموع

•

عبد الرزاق عبد الواحد

باريس.. تموز ٢٠٠٧

•

دمعٌ لبغداد .. دمعٌ بالملايينِ
مَن لي ببغداد أبكيها وتبكيني ؟

مَن لي ببغداد .. ؟ روحي بعدَها يبسَتْ
وصوّحتْ بعدَها أبهى سناديني

عُدْ بي إليها .. فقيرٌ بعدَها وجعي
فقيرةٌ أحرفي .. خُرسٌ دواويني

قد عرّشَ الصمتُ في بابي ونافذتي
وعشّشَ الحزنُ حتى في روازيني

والشِّعرُ بغداد ، والأوجاعُ أجمعُها
فانظرْ بأيِّ سهامِ الموتِ ترميني !

•

عُدْ بي لبغدادَ أبكي وتبكيني

دمعٌ لبغدادَ .. دمعٌ بالملايينِ

عُدْ بي إلى الكرخِ .. أهلي كلُّهم ذُبِحوا

فيهِ .. سأزحفُ مقطوعَ الشَّرايينِ

حتى أمرَّ على الجسرينِ .. أركضُ في

صوبِ الرصافةِ ما بينَ الدَّرابينِ

أصيحُ : أهلي .. وأهلي كلُّهم جُثَثٌ

مُبعثَرٌ لحمُهُم بينَ السَّكاكينِ

خُذني إليهم .. إلى دامي مقابرِهم

للأعظميةِ .. يا صوتَ الرَّياحينِ

وقِفْ على سورِها ، واصرخْ بألفِ فمٍ

يا تُربةَ الصُّورِ .. يا أُمَّ المساجينِ

كم فيكِ من قمرٍ غالوا أهِلَّتَهُ

كم نجمةٍ فيكِ تبكي الآنَ في الطينِ ؟!

•

وجُزْ إلى الفضلِ .. للصدريةِ أُنحرتْ

لحارةِ العدلِ .. يا بؤسَ الميادينِ

كم مسجدٍ فيكِ .. كم دارٍ مهدَّمةٍ

وكم ذبيحٍ عليكِ غيرِ مدفونِ ؟!

تناهشتْ لحمَهُ الغربانُ ، واحتربتْ

غرثى الكلابِ عليهِ والجرازينِ !

يا أمَّ هارونَ ما مرَّتْ مصيبتُنا

بأمّةٍ قبلَنا يا أمَّ هارونِ !

•

أجري دموعي وكِبْري لا يُجاريني

كيفَ البكا يا أخا سبعٍ وسبعينِ ؟!

وأنتَ تعرفُ أنَّ الدمعَ تذرفُهُ

دمعُ المروءةِ لا دمعُ المساكينِ !

•

دمعُ الفلوجةِ الأبطالِ .. ما هملتْ
مدينةٌ من صفاتٍ ، أو عناوينِ

للكبرياءِ .. لأفعالِ الرجالِ بها
إلّا التمادي .. هنيئاً للميامينِ !

ومرحباً بجباهٍ لا تفارقُها
مطالعُ الشمسِ في أيِّ الأحايينِ

لم تألُ تجّارُ دباباتِهم هلعاً
في أرضِها وهي خضراءُ الدواوينِ

ما حرّكوا شعرةً من شيبِ نخوتِها
إلّا ودارتْ عليهم كالطواحينِ !

•

واستدعِ يا دمعُ سامرّاءَ نسألُها
عن أهلِ أهوارِ .. عن شُمِّ العرانينِ

أربعٌ سقَوا الغازينَ من دمٍ

يا مَن رأى طاعناً يُسقى بطاعونِ !

يا أختَ تلّعفرَ القامتْ قيامتُهُ

وأوقدتْ صولَ كُلِّ الكوانينِ

تقولُ برلينُ في أيامِ سطوتِهِ

داروا عليهِ كما داروا ببرلينِ

هاجوا عليهِ وكانتْ قريةً فغدتْ

حولاً يُقاتلُ في أنيابِ تنّينِ !

وقفتُ على نينوى.. أُسطورةً بفمي

تبقى حروفُكِ يا أرضَ البراكينِ

يا أختَ آشورَ.. تبقى من مجرّتِها

مرآةٌ فيكِ حتى اليومِ تَسبيني

تبقى بوارقُهُ.. تبقى فيالقُهُ

تبقى بيارقُهُ زهرَ اللّاوينِ

خفّاقةً في حنايا وارثي دمهِ

يُحلّقون بهِ مثل الشّواهين

ج ، وليبرُ العراقيين يحملُهم

تداولوا أربعاً جيش الشياطين

فركّعوه على أعتابِ بلدتهم

وركّعوا معهُ كلّ الشرّيرين

•

يا باسقات ديالى .. أيُّ مجزرةٍ

جُنّتْ عروقكِ يا زهرَ البساتينِ ؟

في كلّ يومٍ لهم في أرضكِ الذّبحتْ

بالغدرِ خطّةُ أمنٍ غيرِ مأمونِ

تجيشُ أرتالهم فوقَ الدروع بج

فتتركُ الشّوحَ ملأى بالقرابينِ

وأنتِ صامدةٌ تستعرضين لهم

موجَ الدّماءِ على موجِ الثّعابينِ

ولمّا غرقوا قامت قيامتهم

فأعلنوا خطّةً أخرى بقانون !

•

يا أطهر الأرض .. يا قدّيسة الطين

يا كربلا .. يا رياض الحور والعين

يا مرقد السيّد المعصوم .. يا ألقاً

من الشهادة يحمي كلّ مسكين

هدّي ظلامك للإنسان في وطني

وحيثما ارتعشت أقدامه كوني

كوني شباباً له في ليل محنته

حتى يوحّد بين العقل والدّين

حتى يكون ضميراً ناصعاً ونداً

تمتدّ للخير لا تمتدّ للدّون

محروسةٌ بالحسينِ الأرضُ في وطني

وأهلُها في مَلاذٍ منهُ مَحصونِ

ما دامَ في كربلا صوتٌ يصيحُ بنا

إنَّ الحسينَ وليٌّ للمساكينِ

•

يا جرحَ بغدادَ حدِّثْ عن مروءتي

تدري حديثُكَ رغمَ البعدِ يُدميني

خُذني إلى كلِّ دارٍ هُدِّمتْ، ودمٍ

جُرحٍ جرى، وكم حُرٍّ يناديني

يصيحُ بي: أيُّها الباكي بحارَ دمًا

أوصِلْ صداكَ إلى هذي الملايينِ

وقُلْ لها لَملِمي قتلاكِ واتّحدي

على دماكِ اتّحادَ السنّينِ والشّيعينِ

مِن يومَ كانَ العراقُ الحرُّ يَغمُرُهم

حُبّاً إلى أنْ أتى موجُ الشقّائينِ !

دمعٌ لبغداد .. دمعٌ بالملايينِ

دمعٌ على البعدِ يَشجيهِ ويَشجيني !

. . .

نسخة مهداة إلى أخي العزيز

أبو علي

عبد الرزاق عبد الواحد

باريس ١٥/٧/٢٠٠٧